تناوب حروف الجر في القرآن الكريم: أنماطه ودلالاته

Nasaruddin[1], Muhammad Alfa Choirul Murtadho[2]
Sunan Ampel Islamic State University Surabaya
nasaruddin@uinsa.ac.id., alfaamuhammad18@gmail.com ✉

ملخص البحث

يُعَدُّ التناوُبُ اللغويُّ في آياتِ القرآنِ الكريمِ ظاهرةً بلاغيّةً دقيقةً تُسهم في إثراء النّصِّ وتمنحه أبعادًا دلاليّةً وجماليّةً متعدّدة، حيث يعكس هذا التناوب مرونةَ اللغةِ القرآنيّةِ وقدرتها على التعبير الدقيق والمتنوّع دون الإخلال بالمعنى الأصلي. تهدف هذه الدراسةُ إلى استكشاف أنماط هذا التناوب وآثاره في السياق القرآنيّ، مع التركيز على استبدال بعض الحروف أو الأدوات، وكيفية تأثير ذلك في توسيع الدلالة وتعميقها. وتعتمد الدراسةُ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ، وذلك من خلال تحليل آياتٍ مختارةٍ تمثّل نماذج من التناوب اللغوي، مع رصد الأفعال والتراكيب التي وقع فيها التبديل، واستكشاف أثر ذلك في البنية الدلاليّة والسياقيّة للنّصّ. وقد كشفت النتائج عن أنّ عددًا كبيرًا من الأفعال والتراكيب في القرآن الكريم تقبل صورًا متعدّدة من التناوب دون أن تُحدِث تغيّرًا في المعنى الأساسي، بل تُضفي على النّصّ بُعدًا بيانيًّا أعمق. وتبيّن أن إدراك هذه الظاهرة لا يكتمل إلا من خلال فهم السياق الذي وردت فيه، إذ إنّ ما يبدو استبدالًا بسيطًا من حيث الشكل قد يحمل في طيّاته تحولًا دلاليًّا ثريًّا يُسهم في بناء المعنى وتوسيع أفق التأويل. وتُبرز هذه الدراسة أهميةَ التناوب بوصفه أداةً بلاغيّةً دقيقةً تُعزّز من إعجاز القرآن الكريم وتُظهر طاقات اللغة العربيّة الكامنة في الأداء المعنوي والتعبيري، مع المحافظة على التماسك النصي والانسجام البنيوي.

مفردات البحث: التناوب ؛ حروف الجر ؛ القرآن الكريم ؛ سياق الآية

المقدمة

التناوب ظاهرة مهمة في علم النحو، تمثل إمكانية استبدال حرف جر بحرف آخر داخل التراكيب النحوي دون الإخلال بالدلالة الأصلية (بل, ٢٠٢٤). وقد تنوّعت تسميات النحاة لهذه الظاهرة بين "استبدال حرف الجر"، و"تعويض حرف الجر"، و"استخدام حرف مكان آخر"، لكنها جميعًا تعبّر عن مفهوم واحد، وهو انتقال وظيفة حرف الجر إلى حرف آخر مع المحافظة على المعنى الأساسي. وتُظهر هذه الظاهرة مرونة اللغة العربية في توظيف حروف الجر، حيث يمكن لحرفٍ واحدٍ أن يؤدّي معنىً يُعبِّر عنه حرفٌ آخر (معلوف, ٢٠٢٤).

كما يمتدّ مفهوم التناوب إلى المعاني بين الكلمات، حيث تُستبدل كلمة بأخرى أو تُمثّلها في السياق. وغالبًا لا تقتصر هذه الكلمات على معناها الظاهر، بل قد تحمل دلالات أخرى تختلف عن أصل معناها (العبادي, ٢٠١٤). فمثلًا، قد يُستخدم فعل بمعنى فعل آخر، أو يُوظّف المبني للمجهول بدلًا من المبني للمعلوم، أو يُستبدل حرف بحرف آخر يختلف في الدلالة. ويعود هذا إلى أنّ لكلّ كلمةٍ معنىً أصليًا واضحًا، لكن عند إدراجها في سياقات مختلفة، تتسع دلالاتها وتكتسب معاني إضافية، مما يُثري مجال التفسير ويُعمّق الفهم(محمدزاده et al., 2015).

لا يقتصر مفهوم التناوب على إثراء تراكيب الجمل، بل يكشف أيضًا عن عمق اللغة العربية واتساعها في التعبير عن المعاني بطرق فعّالة ومتنوّعة (راهي & رحيمة, ٢٠١٩). إنّ الفهم الدقيق لهذه الظاهرة يُعدّ مفتاحًا أساسيًا لدارسي اللغة، حيث يمكّنهم من توظيف حروف الجر بمهارة ودقة تتناسب مع السياق. وقد حظي مفهوم تبادل المعاني باهتمام واسع من قِبل علماء اللغة عبر العصور، حتى أصبح محور نقاش بين النحاة الكلاسيكيين والمعاصرين الذين سعوا لاستكشاف أسبابه وأهدافه (طالب & علي, ٢٠٢٢).

يرتكز النقاش حول التناوب على إمكانية استخدام كلمة مكان أخرى، أو استبدال صيغة بأخرى، أو حتى تعويض حرف بآخر. ومع ذلك، يشدّد نحاة البصريين على ضرورة بقاء هذا الاستخدام ضمن حدود واضحة ومحددة في النصوص، محذّرين من التوسع المفرط أو القياس غير المنضبط، ومؤكدين على أهمية الالتزام بالمعنى الأصلي للكلمة حفاظًا على سلامة اللغة ومنعًا للفوضى اللغوية (Kattan, 2022).

على النقيض من ذلك، اتسم علماء النحو الكوفيين بمرونة أوسع في التعامل مع مفهوم التناوب في المعاني، حيث أجازوا استخدامًا أرحب مستندين إلى القياس اللغوي. واستندوا في ذلك إلى شواهد من نصوص اللغة العربية الكلاسيكية، خصوصًا القرآن الكريم والشعر العربي، اللذين يُعتبران من أقوى المصادر لتأصيل قواعد اللغة وتقعيدها. وقد اتسم نحاة الكوفة بالتسامح والانفتاح في تعاطيهم مع الاستخدامات اللغوية، مما أتاح مجالًا أوسع للديناميكية والمرونة في الدلالات والمعاني والمعاني(Ḥasan ʼAwwād, 1982).

التناوب عند البصريين

تستند رؤية البصريين في مفهوم التناوب الخاص بحروف الجر إلى رفض التناوب المبني على القياس اللغوي. يرى علماء النحو من البصرة أن ما يظهر على أنه استبدال لحروف الجر هو في الحقيقة نوع من "التضمين"، حيث يحمل الفعل معنى فعل آخر يتطلب حرف جر معينًا (الحسيني & انسام, ٢٠٢٠).

وقد أوضح المرادي أن البصريين يحافظون على المعنى الأصلي لحروف الجر بطريقتين: الأولى التأويل بما يتوافق مع بنية اللغة، والثانية اعتماد مفهوم "التضمين". وإذا تعذّر التأويل، فإن استبدال حرف الجر يُعتبر "شذوذًا" لغويًا (بلحاف*, ٢٠٢٣).

وفقًا للبصريين، فإن التناوب في حروف الجر غير قياسي؛ فلكل حرف معنى أصلي محدد لا يجوز تحويله حرفيًا. فمثلاً، يدل حرف "في" على "الداخل"، و"على" على "الفوق"، و"من" على "البداية"، و"إلى" على "النهاية" أو "الغاية". ويرون أن هذه المعاني حقيقية وليست مجازية. من الأمثلة التي يكثرون ذكرها قوله تعالى: "غرد الطائر في الغصن"، حيث تدل "في" حرفيًا على الداخل، لكن العصفور في هذا السياق ليس داخل الغصن بل فوقه، لذا يُعد استخدام "في" مجازيًا لاستبدال وظيفة "على" الأكثر دقة في هذا الموضع. من وجهة نظر البصريين، هذا التغيير مجازي فقط ولا يُعتبر قاعدة نحوية ثابتة. وبناءً عليه، يُعد التناوب عند البصريين مجرد أسلوب بلاغي (مجاز) لا يمكن اعتباره قاعدة نحوية قائمة على القياس. وتقوم مقاربتهم على أن المعنى الأصلي لحروف الجر ثابت لا ينبغي تغييره ليعبّر عن معنى حرف آخر.

التناوب عند الكوفيين

على النقيض من البصريين الذي يقيد التناوب بين حروف الجر ويعتبره شذوذًا لغويًا، يتبنّى الكوفيين موقفًا أكثر مرونة، إذ يقبل هذا التناوب كظاهرة صحيحة وقياسية. ويؤكد ما ورد في حاشية الشّبّان أن هذا الرأي مدعوم من علماء متأخرين يرون في تبادل استعمال حروف الجر دلالة على سعة اللغة العربية وثرائها البلاغي، كما جاء في كتبي "التصريح" و"المغني" (الحسيني & انسام, ٢٠٢٠).

يرى الكوفيين أن التناوب بين حروف الجر ليس مجرد استعمال عرضي، بل هو ظاهرة معيارية تخضع لقواعد النحو المعتمدة. فهم يرون أن حروف الجر، كسائر الأسماء والأفعال، تتمتع بمرونة دلالية تسمح لها بأداء معانٍ متعددة لا تقتصر على وظيفة واحدة. ولذلك، يؤمن نحاة الكوفة بأن كل حرف جر يمكن أن يحمل معانٍ متنوعة، سواء كانت أصلية (حقيقية) أو عرفية (اصطلاحية) مقبولة في الاستخدام اللغوي (بلحاف*, ٢٠٢٣).

ويعتبر علماء الكوفيين أن حصر معاني حروف الجر في معنى واحد ثابت هو تقييد غير مبرر لثراء اللغة العربية واتساعها، إذ يرون أن طبيعة اللغة تتسم بمرونة عالية تتيح لحروف الجر تبادل الأدوار دون أن يؤدي ذلك إلى غموض أو إرباك في الفهم. وهم يعتمدون في صحة هذا التبادل على وضوح المعنى لدى المتلقي، فإذا أدرك المستمع المقصود بوضوح دون لبس، فإن الاستخدام يُعتبر صحيحًا لا مجازيًا. ومن الأمثلة التي يوردونها قوله تعالى: "غرد الطائر في الغصن"، حيث يدل حرف "في" أصلاً على "الداخل"، لكن العصفور في هذا السياق ليس داخل الغصن بل فوقه. ومع ذلك، يدرك المتحدثون بالعربية هذا المعنى فطريًا دون حاجة إلى تأويل. ومن منظور الكوفيين، يُعدّ استخدام "في" بدلًا من "على" هنا صحيحًا لا مجازيًا، إذ إن هذا الاستخدام متعارف عليه في المجتمع اللغوي ولا يثير إشكالًا دلاليًا.

تتوافق هذه النظرة مع مفهوم لغوي أوسع في العربية يُعرف بـ"المشترك اللفظي"، وهو قدرة الكلمة الواحدة، أو في هذا السياق حرف الجر الواحد، على التعبير عن معانٍ متعددة. وبالمثل، يمكن لحروف جر مختلفة أن تعبّر عن معنى واحد دون المساس بالدلالة. ومن هنا يرى نحاة الكوفة أن هذه الظاهرة تعكس ثراء اللغة العربية ومرونتها، ولا تستلزم التأويلات المجازية المعقدة لتفسيرها (Murtadho et al., 2024).

يُعتبر منهج الكوفيين أكثر شمولية ومرونة في فهم معاني حروف الجر؛ فهم لا يرون التناوب بينها كخرق للقواعد أو انحراف عن الأصل، بل كتنويع بلاغي يعكس عمق التعبير وجماله في اللغة العربية. وهذا التوجه يختلف جوهريًا عن موقف مدرسة البصرة التي تتمسك بالمعاني الأصلية لحروف الجر وتعتبر تبديلها شذوذًا أو مجازًا. ومن منظور نحاة الكوفة، تعبر هذه المرونة في التناوب عن قدرة اللغة العربية على التكيف مع السياقات المختلفة مع الحفاظ على وضوح الدلالة واتساق المعنى.

ولا يقتصر النقاش حول التناوب في حروف الجر على المذهبان الرئيسيان (البصرة والكوفة) فقط، بل يبرز موقف معتدل تبناه كل من ابن سيراج وابن جني، إذ أجازا التناوب بشرط وجود تقارب دلالي واضح بين الحروف المتبادلة. ويُعد هذا المنهج وسطًا بين تشدد البصريين الذين يرون لكل حرف معنى ثابتًا لا يجوز تعديله، ومرونة الكوفيين الذين يجيزون التناوب دون قيود[1].

يؤكد ابن سيراج وابن جني أن التناوب مقبول إذا كان هناك ارتباط دلالي واضح بين الحروف المتبادلة، بحيث لا يؤدي الاستبدال إلى تشويش المعنى أو غموض الفهم. ومن هنا تمثل مقاربتهما توازنًا بين الحفاظ على الأصول الدلالية لحروف الجر، والاعتراف بالمرونة الأسلوبية التي تتمتع بها اللغة العربية (حامد & الله, ٢٠١٧).

ويميل بعض العلماء المعاصرين إلى تأييد منهج ابن جني باعتباره أكثر واقعية وملاءمة للسياق اللغوي، إذ يرون أن المنع المطلق للبصريين يقيد آفاق تفسير اللغة، في حين تبدو مرونة الكوفيين مفرطة وغير محدودة بضوابط. ومن هنا يبرز منهج ابن جني كحل وسط يجمع بين الحفاظ على المعنى الأصلي لكل حرف، وإتاحة التبديل متى ما اقتضت الظروف ذلك (زهار, ٢٠١١).

وقد أكد ابن سيراج وابن جني في منهجهما المعتدل أن اللغة العربية تمتاز بديناميكية غنية تمكن من توسيع المعاني دون المساس بوضوحها وسلاستها. إن هذا الفهم العميق يعزز رؤية المتعلم ويثري قدرته على إتقان تركيب الجمل في اللغة العربية باتساق وعمق (الحسيني & انسام, ٢٠٢٠).

تتجلى ظاهرة تبادل المعاني بين حروف الجر بوضوح في استخدامات حرف الباء (بِ)، حيث يُستعمل أحيانًا بدلًا من حرف الفاء (في) للدلالة على المكان أو الحالة. كما يظهر هذا التبادل في حرف اللام (لِ) الذي قد يحل محل حرف العين (على) في بعض السياقات، وحرف الفاء (في) الذي يمكن أن يحمل معنى حرف العين (على) أو حتى معنى حرف إلى (إلى) في تراكيب معينة.

[1] مجيد خير الله راهي, & علي حسن رحيمة. (٢٠١٩). الدرس النحويّ عند الجُذاميّ تناوب حروف الجرّ وزيادتها مثالًا. *Journal of Education College Wasit University*.(٣٦) ٢,

وتبرز هذه الأمثلة أن تبادل المعاني بين حروف الجر ليس عشوائيًا، بل يستند إلى تقارب دلالي واضح بينها. ومن هنا يتجاوز مفهوم التناوب مجرد توسيع تنويعات تركيب الجمل، ليعكس مرونة اللغة العربية وعمق قدرتها على إيصال المعاني بدقة وثراء.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ظاهرة التناوب بين حروف الجر في آيات مختارة من القرآن الكريم، بهدف فهم كيفية تبادل هذه الحروف دون المساس بالمعنى الأصلي، مع تسليط الضوء على الأبعاد الدلالية الأعمق لهذه الظاهرة. تم اختيار الآيات بعينة موجهة تركز على المواضع التي يظهر فيها التناوب بوضوح.

تتضمن خطوات البحث علم الدلالة اللغوي لجون ليونز. أولًا، يتم تحديد الأفعال المتعلقة بظاهرة التناوب بين حروف الجر. بعد ذلك، يتم تطبيق التحليل الدلالي لفهم العلاقة المعنوية بين الأفعال وحروف الجر في سياق الآيات القرآنية. ثم يُجرى تحليل سياقي عميق لاستكشاف كيفية تأثير التناوب في حروف الجر على المعنى دون تغيير الرسالة الأساسية للآية.

يدعم هذا التحليل مراجع تفسيرية موثوقة ومصادر لغوية لضمان دقة الفهم وصحة التحليل. وأخيرًا، يتم تقييم كل حالة من حالات التناوب بناءً على إسهامها في تعزيز البعد الدلالي ووضوح الرسالة التي يقدمها القرآن الكريم (Lyons, 1995). وتتوقع الدراسة أن يكشف التحليل عن أن التناوب في حروف الجر ليس مجرد تنوع لغوي عابر، بل هو تجلٍ لجمال وثراء لغة القرآن الكريم، مما يضفي عمقًا وتأصيلًا للمعاني القرآنية، ويؤكد أهمية السياق في تفسير هذه الظاهرة وفهمها

النتائج والمناقشة

تتمثل ظاهرة التناوب في حروف الجر بقدرة بعض الحروف على تبادل المعاني فيما بينها وفقًا لسياق الجملة، ومن أبرز هذه الحروف حرف الباء (ب)، الذي يُستخدم أحيانًا بمعنى الظرفية "في"، للدلالة على المكان أو الزمان، ويتجلى ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم.

أ. حرف الباء (ب)

يُحلّ حرف الباء محل بعض المعاني في ظاهرة التناوب في القرآن الكريم، ومن أبرز هذه المعاني:

١. الباء للظرفية بمعنى (في)

يُستخدم حرف الباء في مواضع معينة كبديل لحرف الجر "في" الذي يدل على الظرفية سواء في المكان أو الزمان. ويظهر هذا الاستخدام في قوله تعالى: **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ (آل عمران: ١٢٣)**.

في تفسير هذه الآية، يشير حرف الباء إلى معنى "في" أي يدل على المكان، بحيث يصبح المعنى: "نصر الله في بدر" مباشرةً. ومن ثم، يقوم حرف الباء بوظيفة ظرفية مشابهة تمامًا لوظيفة حرف الجر "في". أمثلة أخرى من القرآن الكريم تشمل:

(١) **وَنَجَّيْنَاكُم بِسَحَرٍ (القمر: ٣٤)**. حيث تشير "بِسَحَرٍ" إلى وقت محدد، أي "في وقت السحر".

(٢) **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (الذاريات: ١٨)**. تستخدم الباء لتحديد زمن الاستغفار، أي "في الأسحار".

(٣) **إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ (الصافات: ١٣٧-١٣٨)**. حيث تعني "بالليل" هنا "في الليل"، لتحديد الزمن بشكل مباشر.

(٤) **رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ (إبراهيم: ٣٧)**. يُستخدم "بِوَادٍ" للإشارة إلى مكان محدد، بمعنى "في وادٍ غير ذي زرع"، مما يبرز دقة تحديد الموقع.

(٥) **بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آل عمران: ٢٦)**. تعني "بِيَدِكَ" هنا "في يدك"، في إشارة إلى السيطرة والتحكم المطلق.

٢. الباء للاستعلاء بمعنى (على)

تتسع دلالة حرف الباء أحيانًا لتشمل معنى الاستعلاء، وهو المعنى الذي يُعبر عنه عادةً بحرف الجر "على". ويظهر هذا الاستخدام في بعض آيات القرآن الكريم، حيث يمكن فهم حرف الباء بمعنى "على" بحسب سياق الكلام وتفسير الجملة. مثال على ذلك قوله تعالى: **وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ**

يَتَغَامَزُونَ (المطففين: ٣٠). في هذه الآية، يُفهم تعبير "بهم" بمعنى "عليهم"، أي "عليهم يتغامزون"، مع الإشارة إلى إمكانية فهمها أيضًا بمعنى "عندما يمرون بهم" حسب السياق. أمثلة أخرى من القرآن الكريم تدعم هذا التناول:

(١) **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ (آل عمران: ٧٥)**. حيث يمكن فهم تعبير "بِقِنطَارٍ" بمعنى "على قنطار"، أي "تأتمنه على قنطار"، مما يدل على مفهوم الأمانة والمسؤولية. وهذا يشابه ما ورد في الآية: **هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ (يوسف: ٦٤)**. حيث يشير المعنى إلى المسؤولية الملقاة على الشيء المذكور.

(٢) **يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا (النساء: ٤٢)**. في هذه الآية، يحمل تعبير "بهم الأرض" معنى "عليهم الأرض"، أي يتمنون أن تُسوّى الأرض عليهم، تعبيرًا عن شدة الندم والخزي يوم القيامة.

٣. **الباء بمعنى (من)**

يُستخدم حرف الباء أحيانًا كبديل لحرف الجر "من" في سياقات تشير إلى الانفصال أو الجزئية، مما يضفي على التركيب عمقًا دلاليًا ويبرز العلاقة الوصفية بين الفعل والمصدر أو الأداة. في هذه الحالات، يُظهر حرف الباء ارتباطًا سببيًا أو تابعًا بين الشيء والفاعل أو المصدر، مع إبراز صفة مميزة أو حالة خاصة في السياق. فعلى سبيل المثال، في قوله تعالى: **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ (الإنسان: ٦)**. يُشير تعبير "بها" إلى أن العين ليست مجرد مصدر للماء، بل هي مورد خاص ومقدس يستفيد منه عباد الله، مما يضفي خصوصية وارتباطًا وثيقًا بين الشرب والعين، بحيث يمكن فهمه بمعنى "منها". أمثلة أخرى من القرآن الكريم تدعم هذا الاستخدام:

(١) **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ ٱللَّهُ بِعِلْمِهِ (هود: ١٤)**. حيث يُفهم تعبير "بِعِلْمِهِ" بمعنى "من علمه"، موضحًا أن النزول كان مستندًا إلى علم الله، مع إبراز العلاقة السببية والارتباط المباشر بين الفعل والمصدر.

(٢) **فَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ (المائدة: ٦)**. في هذه الآية، يظهر حرف الباء بمعنى "من"، حيث يُفهم المسح كفعل يتم بأداة وهي الرأس، مما يدل على تحديد الأداة المستخدمة مع إضفاء معنى الخصوصية في الأداء.

٤. **الباء بمعنى (عن)**

يُستخدم حرف الباء أحيانًا كبديل لحرف الجر "عن" في سياقات تدل على موضوع الكلام أو محل السؤال، حيث يأتي ليعبّر عن محور الاستفهام أو الموضوع الذي يدور حوله الحديث. يعكس هذا الاستخدام قدرة اللغة العربية على التوسع الدلالي والمرونة في تركيب الجمل، دون المساس بالمعنى الأصلي أو الإخلال بوظيفة الجملة. كمثال على ذلك قوله تعالى: **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَ اقِعٍ (المعارج: ١)**. في تفسير هذه الآية، يُفهم تعبير "بِعَذَابٍ" بمعنى "عن عذابٍ واقع"، حيث يؤدي حرف الباء هنا وظيفة حرف الجر "عن" في تحديد موضوع السؤال، وهو العذاب الواقع.[٢]

ب. حرف اللام (ل)

يُعد حرف اللام (لِ) من حروف الجر التي تتمتع بمرونة دلالية كبيرة في اللغة العربية، حيث يمكن أن يستبدل معانٍ متعددة في سياقات مختلفة داخل آيات القرآن الكريم. هذا الاستخدام يعكس ثراء اللغة العربية وقدرتها على التعبير الدقيق والمتعدد الأبعاد، كما يبرز عمق دلالاتها البلاغية والروحية.

١. **اللام بمعنى (على)**

يمتاز حرف اللام بإمكانية أن يحل محل حرف الجر "على" في مواضع تدل على مكانة أو سيطرة أو تعلّق، مما يضفي غنىً وعمقًا في التعبير. ففي قوله تعالى: **يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ (الإسراء: ١٠٩)**. يأتي تعبير "لِلْأَذْقَانِ" باستخدام حرف اللام، لكنه يحمل دلالة "على الأذقان"، معبّرًا عن السجود والخضوع الكامل. ويضفي هذا الاستخدام البلاغي بعدًا روحيًا وشعوريًا يوحي بالتذلل والخضوع لعظمة الله.

---

[2] مفاتيح الغيب)التفسير الكبير(الجزء الثالثون ص ،١٣٧ المؤلف: أبو عبد هلا محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ال ارزي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري)المتوفى 606 هـ(الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

ومثال آخر في قوله تعالى: **وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَانِبِهِ (يونس: ١٢)**. هنا، اللام في "**لِجَانِبِهِ** "تؤدي وظيفة "**على جانبه**"، حيث تؤدي اللام في "لِجَانِبِهِ" وظيفة حرف الجر "على جانبه"، مع إشارة واضحة إلى التعلق والاعتماد الكامل على الله عند وقوع المصيبة. يوسع هذا الاستعمال المعنى ليشمل الجانب العاطفي والروحي، وليس الموقع المكاني فقط.

٢. **اللام بمعنى (في)**

يُستخدم حرف اللام أحيانًا كبديل لحرف الجر "في"، خاصة في سياقات تدل على الزمان أو المكان، مما يعكس مرونة دلالية كبيرة وتوسعًا في التعبير البلاغي، ففي قول الله تعالى: **يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**. يمكن فهم تعبير "لِحَيَاتِي" بمعنى "في حياتي"، أي "يا ليتني قدّمت عملاً صالحًا في حياتي." يشير هذا الاستخدام إلى مفهوم الزمان، حيث تحل اللام محل حرف الجر "في" للدلالة على فترة زمنية محددة، مما يضفي على النص عمقًا بلاغيًا وتعبيريًا يُبرز الحزن والندم على الفرص الضائعة.

٣. **اللام بمعنى (عن)**

يمكن لحرف اللام أن يحل محل حرف الجر "عن"، الذي يدل غالبًا على معنى الفصل أو النفور، مما يعكس بعدًا دلاليًا دقيقًا في سياق الآيات القرآنية. وذلك كما في قوله تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ (الأحقاف: ١١)**. يحمل تعبير "لِلَّذِينَ آمَنُوا" معنى "عن الذين آمنوا"، حيث تعكس اللام هنا مسافة فصل ونفور بين الكافرين والمؤمنين. هذا التناوب في الاستخدام يشير إلى علاقة معبّرة عن التباعد في الفكر والموقف، مما يُثري التعبير القرآني بعمق بلاغي ودلالي.

٤. **اللام بمعنى (إلى)**

يسنخدم حرف **اللام** ليحل محل حرف الجر **إلى**، الذي يدل عادة على الاتجاه أو الغاية. وذلك كما في قوله تعالى: **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَذَا (الأعراف: ٤٣)**. يحمل تعبير "لِهَذَا" معنى "إلى هذا"، مشيرًا إلى الاتجاه المقصود وهو الهداية إلى الطريق المستقيم. ومثال آخر في قوله تعالى:

رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ(آل عمران: ١٩٣). يُبرز استخدام اللام في "لِلْإِيمَانِ" معنى "إلى الإيمان"، مما يؤكد الغاية من النداء، وهو التوجيه نحو الإيمان.

ت. حرف (في)

يتميز حرف **في** في اللغة العربية بمرونة دلالية خاصة، حيث يمكن أن يحل محل معانٍ أخرى لحروف الجر في سياق آيات القرآن الكريم، مما يعكس ثراء اللغة العربية وقدرتها التعبيرية.

١. في بمعنى (على)

يستخدم حرف **في** أحيانًا بالتبادل مع حرف **على**، خصوصًا عند الإشارة إلى موقع أو مكان، كما في قوله تعالى: **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (طه: ٧١)**. في هذه الآية، يمكن فهم تعبير **"في جذوع النخل "**بمعنى **"على جذوع النخل"**، إذ المقصود هو التثبيت على الجذوع، وهو ما يوضح وجود تبادل في المعنى بين الحرفين، دون المساس بالمعنى الأصلي للسياق القرآني.

٢. في بمعنى (إلى)

إلى جانب استخدام حرف **في** بمعنى "على"، يمكن أن يحلّ أحيانًا محل حرف الجر **"إلى "** الذي يدل على الاتجاه أو الغاية. كما في قوله تعالى: **فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ (إبراهيم: ٩)**. حيث يُستخدم حرف **في** هنا بدلاً من حرف الجر **"إلى"**، فيُفهم المعنى كـ"وجّهوا أيديهم إلى أفواههم"، مما يعكس مرونة في التعبير الدلالي وحيوية التركيب اللغوي في القرآن الكريم، دون المساس بدقة المعنى.

ث. حرف (عن)

يمتلك حرف **عن** في اللغة العربية قدرة على استبدال بعض معاني حروف الجر الأخرى في سياق آيات القرآن الكريم:.

١. **عن بمعنى (من)**

بالإضافة إلى استخدامه التقليدي، يمكن لحرف **عن** أن يحلّ محل حرف الجر "**من**" الذي يدل على الأصل أو المصدر في بعض سياقات القرآن الكريم. كما في قوله تعالى: **وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (الشورى: ٢٥)**. حيث يُفهم حرف **عن** هنا بمعنى "من"، أي أن الله يقبل التوبة من عباده، ما يشير إلى أن التوبة صادرة منهم ومقبولة عنده. وفي قوله تعالى: **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا (البقرة: ١٢٧)**. حيث استُخدم حرف **من** للدلالة على المصدر ذاته (العباد).

٢. **عن بمعنى (ب)**

في بعض السياقات، يمكن لحرف **عن** أن يحل محل حرف الجر "**بِ**"الذي يدل عادةً على السبب أو الوسيلة أو العلّة. هذا الاستبدال يعكس مرونة اللغة العربية وقدرتها على استخدام حروف الجر بتعدد دلالي واضح، خصوصًا في القرآن الكريم. كما في قوله تعالى: **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (النجم: ٣)**. حيث يُستخدم حرف **عن** للدلالة على أصل الكلام أو سببه، بمعنى أن النطق ليس صادرًا بسبب الهوى أو رغبة النفس. ويُشبه هذا الاستخدام استعمال حرف الباء في بيان السبب أو العلّة، بحيث يمكن فهم العبارة كما لو قيل: "وما ينطق بِهَوَى"، مما يؤكد أن النطق ليس نتاج هوى شخصي وإنما وحي من الله تعالى.

ج. حرف (من)

يمتلك حرف **من** في اللغة العربية قدرة على أن يحل محل بعض معاني حروف الجر الأخرى في سياق الآيات القرآنية. وفيما يلي توضيح لبعض تلك المعاني مع الأمثلة:

١. **من بمعنى (في)**

أحيانًا يُستخدم حرف **من** بدلاً من حرف الجر **في**، لا سيما عند الإشارة إلى بيان الزمان أو المكان في الآيات القرآنية. ومن ذلك قول الله تعالى: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ (الجمعة: ٩)**. يمكن فهم عبارة "مِن يوم الجمعة" بمعنى "في يوم الجمعة"، أي أنها تحدد وقت وقوع الحدث، وهو وقت النداء للصلاة.

٢. **من بمعنى (على)**

بالإضافة إلى استخدامه كبديل لحرف الجر **في**، يمكن لحرف **من** أن يُستخدم أيضًا بدلاً من حرف الجر **على**، الذي يدل عادةً على معنى "فوق" أو "تجاه". ومن ذلك قول الله تعالى: **وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ (الأنبياء: ٧٧)**. في هذا السياق، يُفهم حرف **من** بمعنى **على**، فيصبح المعنى: "ونصرناه على القوم" أي: "نصرناه ضد القوم" أو "نصرناه على أولئك القوم".

٣. **من بمعنى (ب)**

يمكن أن يُستخدم حرف **من** أحيانًا بدلاً من حرف الجر **ب** الذي يدل عادةً على الوسيلة أو السبب أو العلة. هذا الاستخدام يعكس مرونة اللغة العربية وقدرتها على التعبير الدقيق عن العلاقات السببية والأداتية، خصوصًا في النصوص القرآنية التي تتميز ببلاغة فائقة ودقة في المعنى. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: **يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ (النازعات: ٩)**. حيث يُفهم حرف **من** هنا بمعنى **ب**، أي "ينظرون بطرف خفي"، أي بنظرة خافتة أو ضعيفة. ومثال آخر في قوله تعالى: **يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ (الرعد: ١١)**. حيث يحمل حرف **من** معنى **ب**، أي "يحفظون بأمر الله"، دلالة على أن الحفظ يتم بسلطة أمر الله وإرادته. وأيضا في قوله تعالى: **يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ (النحل: ٢)**. يتضح أن حرف **من** يشير إلى معنى **ب**، أي "يلقي الروح بأمره"، مؤكدًا أن إرسال الروح يتم بواسطة أو بسبب أمر الله، مما يبرز قدرة الله وسلطانه.

ح. حرف (على)

يُعدُّ حرف **على** في اللغة العربية من حروف الجر التي تتميز بمرونة دلالية كبيرة، حيث يمكن أن يحلّ في بعض السياقات محل حرف الجر **ب**، الذي يدل عادةً على معنى "ب" أو "لأجل". تعكس هذه الاستبدالية ثراء التعبير ومرونة استخدام حروف الجر في اللغة العربية، خاصة في النصوص القرآنية والتعبيرات البلاغية.

١. **على بمعنى (ب)**

يمكن أن يُستخدم حرف **على** بدلاً من حرف الجر **ب** للدلالة على الوسيلة أو العلّة أو السبب، كما في التعبير العربي الشائع: **اركب على اسم الله**. ومعناه : **اركب باسم الله**. في هذا

المثال، جاء استخدام حرف **على** ليحل محل حرف **بـ**، فتُصبح الجملة تعبر عن الركوب باسم الله، وليس بالمعنى الحرفي للركوب فوق الاسم. هذا الاستخدام البلاغي يُبرز قدرة اللغة العربية على التوسع الدلالي، وإضفاء أبعاد معنوية أعمق، دون الإخلال بالمعنى الأصلي.

٢. **على بمعنى حرف اللام(ل)**

يمكن أن يحلّ حرف الجر **على** في بعض السياقات محل حرف **اللام (لِ)**، الذي يدل على الغاية أو السبب. هذا التبديل يدل على أن دلالة **على** لا تقتصر على المعنى المكاني المرتبط بـ"الفوق" فقط، بل تمتد لتشمل علاقات غائية وسببية، مما يعكس غنى ومرونة اللغة العربية في التعبير عن المعاني الدقيقة والمتعددة الأبعاد. مثال في قوله تعالى: **وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ (البقرة: ١٨٥)**. في هذه الآية، استخدم **على** بدلاً من حرف اللام، ليحمل معنى الغاية أو السبب، وهو "بسبب هدايته لكم" أو "تعبيرًا عن الشكر لهدايته".

٣. **على بمعنى (في)**

يمكن لحرف الجر **على** أن يحل محل حرف **في** الذي يدل عادةً على المكان أو الزمان في سياقات معينة، وذلك للتعبير مجازياً أو سياقياً عن معنى "في داخل" المكان أو الوقت. مثال في قوله تعالى: **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ (القصص: ١٥)**. في هذه الآية، حلّ حرف **على** محل حرف **في** ليُبيّن معنى الزمان، أي "في وقت الغفلة" أو "عندما كان الناس غافلين".

٤. **على بمعنى (من)**

يمكن لحرف الجر **على** أن يحل محل حرف **من** الذي يدل عادةً على الأصل أو المصدر، وذلك في سياقات تُعبّر فيها عن معنى "من" أو "منبع" الشيء باستخدام **على**. مثال في قوله تعالى: **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (المطففين: ٢)**. في هذه الآية، جاء حرف **على** بدلًا من **من**، فيُفهم على أنه يشير إلى "من الناس" أي من مصدر أو أصل الفعل المتعلق بالوزن والقياس.

بعد رصد العديد من الأمثلة لتغير معاني حروف الجر في النصوص القرآنية، يتبيّن بوضوح أن المعنى المقصود في كل حالة لا يطابق بالضرورة الدلالة الأصلية للحرف المستخدم، بل قد يعكس معنى حرف آخر حلّ محلّه في السياق. بمعنى أدق، يظهر المعنى الظاهر للحرف في سياقه وقد استُبدل أو تحوّل إلى دلالة حرف مختلف، ويقدّم كل مثال برهانًا جليًّا يدعم هذه الظاهرة اللغوية والبلاغية.

تُثري هذه الظاهرة تنوّع معاني الكلمات، إذ يمكن لحرف واحد أن يحمل أكثر من معنى في سياقات مختلفة، مما يمنح النصوص القرآنية عمقًا دلاليًا واتساعًا في الفهم. إن إدراك هذه الديناميكية في تبديل المعاني يلعب دورًا محوريًّا في تطوير المهارات الدلالية، خاصة لدى متعلمي اللغة العربية، حيث يمكنهم من تفسير المعاني بمرونة ووعي بالسياق. فعندما يعي المتعلم هذه الخصائص، يصبح قادرًا على تأويل معاني الكلمات والجمل بدقة، والربط بين المعنى الظاهر والمعنى المستنبط من السياق. وبالتالي، عند مواجهته لجملة أو آية قد تبدو غير متوافقة مع الدلالة الأصلية لحرف الجر المستخدم، يستطيع ذهنيًا استبداله بمعنى حرف آخر أكثر انسجامًا مع السياق والمعنى المطلوب. وجود شواهد واضحة على هذا التبديل الدلالي يعزز من قوة التحليل اللغوي، ويعمّق الفهم للنصوص القرآنية.

تُعدّ ظاهرة تناوب حروف الجر في القرآن الكريم من القضايا البارزة في الدراسات النحوية والبلاغية، وقد كانت محورًا للنقاش بين مذهبين لغويتين رئيستين، هما الكوفيين والبصوالبصريين. يرى الكوفيين، أن استعمال حروف الجر بمعاني حروف أخرى في سياقات مختلفة هو مظهر من مظاهر البلاغة وغنى الدلالة في اللغة العربية، معتبرين أن هذا التنوع ليس خطأً لغويًا، بل أسلوبًا بلاغيًا يُثري النصوص ويعزّز جمال التعبير. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: **وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ (المطففين: ٣٠)**. حيث جاءت **"بهم "بمعنى "عليهم"**، مما يوضح مرونة الدلالة في استخدام حروف الجر.

أما البصريين، فيتخذ موقفًا أكثر تحفظًا في مسألة تناوب حروف الجر، حيث يرون أن لكل حرف جر دلالة ثابتة لا يجوز تبديلها إلا عند وجود قرينة سياقية قوية. وعند غياب هذه القرينة، يُعتبر التبديل خروجًا عن الأصل اللغوي، مما قد يؤدي إلى إشكال في الفهم. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: **يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ (الإسراء ١٠٩)**. يث استُخدم حرف **"اللام "بمعنى "على"**، وهو استعمال خاص فرضته البلاغة القرآنية ولا يمكن

تعميمه خارج هذا السياق.

يعكس هذا الاختلاف بين المدرستين مرونة اللغة العربية وقدرتها على استيعاب تنوع الدلالات، ففي حين يرى الكوفيون في هذا التناوب جمالًا وعمقًا في التعبير، يرى البصريون ضرورة تقنينه لضمان سلامة الفهم. من هنا، فإن إدراك هذه الظاهرة يُسهم في تعزيز مهارات التأويل لدى متعلمي اللغة العربية، ويمكّنهم من فهم النصوص القرآنية بعمق واتساع، ويدعم قدرتهم على إدراك التحولات الدلالية التي تطرأ على حروف الجر وفقًا للسياق القرآني.

خلاصة

بناءً على نتائج البحث، يمكن الاستنتاج أن ظاهرة التناوب في معاني حروف الجر تُعدّ من خصوصيات اللغة العربية التي تدل على اتساع الدلالة ومرونة بنية اللغة. إن تبدل المعاني بين حروف الجر، مثل حرف الباء الذي قد يدل أحيانًا على معنى "إلى"، أو حرف العَن الذي يحمل معنى "من"، أو حرف الفاء الذي يمكن أن يدل على "على"، يبيّن وجود علاقة دلالية وثيقة بين حروف الجر، مما يسمح بحدوث تحوّل في المعنى يبقى متسقًا مع سياق الجملة.

هذه الظاهرة لا تُثرِي المفردات فحسب، بل تُضفي أيضًا تنوعًا في التعبير اللغوي ليصبح أكثر فعالية وسياقية. إذ إن تبدّل المعاني في حروف الجر غالبًا ما يُوسّع مدلول الكلمة التابعة لها دون أن يُزيل جوهر معناها، مما يُسهّل على المتحدث إيصال المقصود بأسلوب موجز وعميق.

علاوة على ذلك، تُعدّ هذه الظاهرة سببًا قويًا لأهمية فهم التناوب في معاني حروف الجر لدى متعلمي اللغة العربية، إذ تمكنهم من إدراك دقة الفروق الدلالية عند مواجهة سياقات جمل لا تتوافق تمامًا مع المعنى الأصلي للحرف المستخدم. ومن ثم، فإن التناوب في حروف الجر ليس مجرد اختلاف لغوي، بل هو انعكاس لجمال واتساع اللغة العربية ذاتها.

المراجع

الحسيني, & انسام. (٢٠٢٠). التوجيه النحوي والدلالي لتناوب الحركة والتنوين في القراءات السبع. *مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية*, *٣٥* (٢), ٢١٠–٢٦٠.

العبادي, ص. ف. (٢٠١٤). التناوب بين حروف المعاني في النص القرآني (الدلالات والمعنى). *مجلة الكلية الاسلامية الجامعة*, *١* (٣٠), ٦٤٥–٦٦٧.

بل, ع. ف. م. (٢٠٢٤). تناوب الأدوات في المعنى بين القبول والرد: دراسة نحوية. *Al-Andalus Journal for Humanities & Social Sciences*, *11*(103).

بلحاف*, د. ع. ف. م. (٢٠٢٣). تناوب الأدوات في المعنى بين القبول والرد: دراسة نحوية د. عامر فائل محمد بلحاف. *مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية*, *١١* .(103)

حامد, ك., & الله, ع. (٢٠١٧). من مسائل الخلاف النحوي (تناوب حروف الجر والعطف على الضمير المخفوض أنموذجاً). *الإشعاع*, *٤* (٨), ٢٤٥–٢٦٠.

راهي, م. خ. ا., & رحيمة, ع. ح. (٢٠١٩). الدرس النحويّ عند الجُذاميّ تناوب حروف الجرِّ وزيادتها مثالًا. *Journal of Education College Wasit University*, *2*(36).

زهار. (٢٠١١). تناوب الأحكام النحوية في التراث العربي-مقاربة وصفية. *الباحث*, *٣* (٣), ٨١–١٠٤.

طالب, أ., & علي, ع. ا. إ. (٢٠٢٢). أثر ظاهرة تناوب المعنى في تنمية الفهم الدلالي للتراكيب النحوية لدى متعلمي اللغة العربية. *مجلة كلية الآداب بقنا*, *٣١* (٥٥), ٣٥٥–٤٠٠.

محمدزاده, عبدي, & الدين, ص. (٢٠١٥). التناوب ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم (دراسة في سورة. *بحوث في اللغة العربية*, *٧* (١٣), ٧٧–٩٠.

معلوف, س. أ. (٢٠٢٤). أثر المسألة النحوية في التفكير اللغوي العربي. *مجلّة الإيسيسكو للُّغة العربيَّة*, *١* (١), ٣١–٦٠.

المراجع الإندونيسي

Ḥasan ʻAwwād, M. (1982). *Tanāwub ḥurūf al-jarr fī lughat al-Qur'ān*. Dār al-Furqān.

Kattan, A. N. (2022). ظاهرة التناوب الدلالي للصيغ الصرفية في تأويلات الماتريدي. *Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi (ÇÜİFD)*, *22*(2), 206–219.

Lyons, J. (1995). *Linguistic semantics: An introduction*. Cambridge University Press.

Murtadho, M. A. C., Yahya, A. M., & Nasrullah, I. (2024). Defining Quranic Beauty in Divine Harmony: A Stylistic Analysis of Al-Asmā'Al-Ḥusnā in Surah Al-Baqarah. *Journal of Arabic Language Studies and Teaching*, *4*(2), 17–31.